الأدلة العقلية على صحة الإسلام
جمعًا ودراسة

دكتورة/منيفة بنت خليف بن حمود الشمري
الأستاذ المساعد في العقيدة والأديان والمذاهب المعاصرة
قسم الثقافة الإسلامية بجامعة حائل

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى خدمة أبناء الأمة الإسلامية وحمايتهم من الجهل بدينهم، والتشكيك فيه ببيان بعض الأدلة العقلية على صحته، وقد اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي.

وتوصلت الباحثة إلى عدد من النتائج منها:

أن من الأدلة العقلية على صحة الإسلام دعوةَ الإسلام إلى تحرير البشرية من رقّ عبودية المخلوق، إلى حرية عبادة الخالق، والأثر العظيم المترتب على ذلك، ومنها توافقه مع الفطرة كتوافقه مع معرفة الإنسان لله تعالى وتوحيده، ومع دافع النكاح لديه، ودافع التملك، ودافع حب الرفق والتيسير، وتوافقه مع العقل الصريح، والحقائق العلمية، وأنه لا يمكن أن يكون هناك تناقض بينهما وبين النصوص الشرعية، ومنها ثبات الإسلام واستمراره بسبب سلامة مصادره من التحريف، وجمعه بين الثبات والمرونة في أحكامه.

ومن الأدلة العقلية سلامة مصادره من التعارض، وأن ما يظهر للناظر من تعارض فهو تعارض ظاهري ومتوهم، أو قصر في فهم النصوص، ومنها شمولية شرائعه لجميع القواعد والقوانين والنظم، التي تنظم حياة الفرد والأسرة، والمجتمع والأمة، ودعوته إلى مكارم الأخلاق، ووقوع ما أخبر به النبي ﷺ من الغيبيات، وأدلة أخرى جاءت في حديث هرقل ملك الروم.

وأوصت الباحثة بالتوسع بالبحث في الأدلة العقلية على صحة الإسلام، والبحث في الأدلة العقلية في القرآن الكريم والسنة النبوية على صحة أصول الدين الإسلامي، وعلى صدق نبوة محمد ﷺ، والواقعية بين الإسلام والأديان السابقة.

الكلمات المفتاحية (جوهر الدعوة، الفطرة، الأخلاق، موافقة).

Research Abstract:

This study aims to serve the members of the Islamic Ummah and protect them from ignorance of their religion, and questioning it by explaining some rational evidence for its validity, and it has followed the inductive-analytical approach.

The researcher reached a number of results, including:

One of the rational proofs of the validity of Islam is that Islam's Dawa to liberate mankind from the servitude of creatures, to the freedom of worshiping the Creator, and the great effect that ensues from that fact, including its compatibility with natural instinct, such as its compatibility with man's knowledge of Allah Almighty and his monotheism, and with human motive for marriage, motive for possession, motive of love Gentleness and facilitation, human compatibility with explicit reason, and scientific facts, and that there can be no contradiction between them and the legal texts, including the stability and continuity of Islam because of the safety of its sources from distortion, and its combination of stability and flexibility in its rulings.

Among the rational evidence is the integrity of its sources from the contradiction, and that what appears to the observer of contradiction is an apparent and illusory contradiction, or a failure in understanding the verses, including the comprehensiveness of its laws for all the rules, laws and regulations that regulate the life of the individual, family, society and nation, and its Dawa to noble morals, the occurrence of what he told By the Prophet Mohamed (peace be upon him) from the unseen matters, and other evidence came in the hadith of Heraclius, the king of the Romans.

The Researcher recommended to expand the research in the mental evidence on the validity of Islam, and search in the mental evidence in the Holy Qur'an and the Sunna of the Prophet on the validity of the origins of the Islamic religion, the truthfulness of the prophethood of Muhammad (peace be upon him), and the realism between Islam and previous religions.

Keywords (the essence of Dawa, instinct, morals, approval)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن الإسلام دين الحق الذي ارتضاه الله للخَلق جميعًا إلى قيام الساعة، قَال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥]. وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

والإسلام منهج حياة متكامل، جاء بكل ما ينظم حياة الإنسان ويحقق له السعادة في الدنيا والآخرة، وهذا المنهج قائم على ما جاء في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وما ثبت من سنة نبي الهدى ﷺ، خلافًا لما سواه من المناهج والأديان الأخرى.

وقد ظهر في هذا الزمان من يشكك بصحة الدين الإسلامي، ويتهمه بالتناقض والرجعية، وعدم صلاحيته لكل زمان ومكان؛ مما يؤدي إلى إضعاف ثقة أبناء المسلمين بما بين أيديهم من قيم وعقائد، ومثل عليا.

ولجهل بعض أبناء المسلمين بالأدلة التي تدل على صحة الإسلام، عند الرد على المشككين فيه، أو عند دعوة غير المسلمين للدخول في الدين الإسلامي، رُمت المساهمة في بيان الأدلة العقلية دون الأدلة النقلية لوجود بحوث متخصصة في ذلك، فكان البحث بعنوان: (الأدلة العقلية على صحة الإسلام، جمعًا ودراسة)، والأدلة على ذلك كثيرة، ولكن اقتصرتُ على ذكر بعض الأدلة لضيق المقام، والله ولي التوفيق.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١-الذبّ عن الدين الإسلامي ببيان بعض الأدلة العقلية على صحته.

٢-جهل بعض أبناء الأمة الإسلامية بالأدلة العقلية على صحة دينهم.

٣-الإسهام بإقناع غير المسلمين بصحة الدين الإسلامي عند دعوتهم إلى الدخول فيه.

٤-إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة متخصصة تجمع بعض الأدلة العقلية على صحة الدين الإسلامي.

أهداف البحث:

١-خدمة العقيدة الإسلامية وأبناء الأمة الإسلامية عند بيان بعض الأدلة العقلية على صحته.

٢-بيان دلالة جوهر الدعوة الإسلامية على صحته.

٣-بيان دلالة موافقة الإسلام للفطرة السليمة على صحته.

٤-بيان دلالة موافقة الإسلام للعقل السليم على صحته.

٥-بيان دلالة ثبات الإسلام واستمراره على صحته.

٦-بيان دلالة سلامة مصادر الإسلام من الاختلاف والتناقض على صحته.

٧-بيان دلالة شمولية شرائع الإسلام على صحته.

٨-بيان دلالة وقوع ما أخبر به النبي محمد ﷺ من الغيبيات على صحته.

٩-بيان دلالة دعوة الإسلام إلى مكارم الأخلاق على صحته.

١٠-بيان الأدلة العقلية في حديث هرقل مع معاوية بن أبي سفيان على صحة الإسلام.

الدراسات السابقة:

لم يرد -فيما أعلم-بعد البحث والاستفسار من أهل الاختصاص، والبحث في المكتبات دراسة علمية عن الأدلة العقلية على صحة الإسلام. ولم أجد سوى دراسات تخص الأدلة النقلية.

خطة البحث:

وتشتمل على مقدمة، وتمهيد، وعشرة مباحث، وخاتمة، وفهارس، على النحو التالي:

المقدمة: وفيها:

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وهدف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

تمهيد: التعريف بالعقل وبيان مكانته في الإسلام، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العقل لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: مكانة العقل في الإسلام.

المبحث الأول: جوهر الدعوة في الإسلام.

المبحث الثاني: موافقة الإسلام للفطرة السليمة.

المبحث الثالث: موافقة الإسلام للعقل السليم.

المبحث الرابع: موافقة الإسلام للحقائق العلمية.

المبحث الخامس: ثبات الإسلام واستمراره.

المبحث السادس: سلامة مصادر الإسلام من الاختلاف والتناقض.

المبحث السابع: شمولية شرائع الإسلام.

المبحث الثامن: وقوع ما أخبر به النبي محمد ﷺ من الغيبيات.

المبحث التاسع: دعوة الإسلام إلى مكارم الأخلاق.

المبحث العاشر: الأدلة العقلية في حديث هرقل مع معاوية بن أبي سفيان.

الخاتمة:

وفيها أهم نتائج البحث، والتوصيات.

الفهارس: وتشمل:

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك باستقراء وتتبع الأدلة العقلية، وتحليلها لإثبات صحة الدين الإسلامي.

أما ما يتعلق بمنهج الكتابة فسيكون على النحو التالي:

١-عزو الآيات الواردة إلى سورها وأرقامها، وذلك في متن البحث، وكتابتها وفق الرسم العثماني.

٢-تخريج الأحاديث الواردة في البحث، فما كان في الصحيحين أو في أحدهما فأكتفي به، وما كان خارجهما فأخرّجه مع ذكر حكم أهل العلم عليه.

٣-عمل الفهارس اللازمة للبحث وهي: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

تمهيد: التعريف بالعقل وبيان مكانته في الإسلام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العقل لغة واصطلاحًا:

أولًا: تعريف العقل لغة:

عَقَلَ: «العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدل عُظْمُهُ على حبسة في الشيء أو ما يقارب الحبسة، من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل.

قال الخليل: العقل: نقيض الجهل، يقال: عقل يعقل عقلًا، إذا عرف ما كان يجهله قبل، أو انزجر عما كان يفعله، وجمعه عقول، ورجل عاقل وقوم عقلاء، وعاقلون، ورجل عقول، إذا كان حسن الفهم وافر العقل، وما له معقول، أي عقل: خرج مخرج المجلود للجلادة، والميسور لليسر... قال الأصمعي: عقل الظبي يعقل عقولًا، إذا امتنع في الجبل، ويقال: عقل الطعام بطنه، إذا أمسكه، والعقول من الدواء: ما يمسك البطن...، ويقال عقلت البعير أعقله عقلًا، إذا شددت يده بعقاله، وهو الرباط»[(١)].

وقال الفيروزآبادي: «وعَقَلَ الدواء بطنه يعقله ويعقله: أمسكه، و–الشيء: فهمه، فهو عقول، و–البعير: شد وظيفه إلى ذراعه، وقال: والعقل: الدية، والحصن، والملجأ، والقلب، وثوب أحمر يجلل به الهودج»[(٢)].

العقل: «العلم، وعليه اقتصر كثيرون، وفي العباب: العقل: الحجر والنهية، ومثله في الصحاح، وفي المحكم: العقل: ضد الحمق، أو هو العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها، أو هو العلم بخير الخيرين وشر الشَّرين، أو مطلق لأمور أو لقوة بها يكون التمييز بين القبح والحسن، ولمعانٍ مجتمعة في الذهن يكون بمقدمات يستَتبِعُ بها الأغراض والمصالح، ولهيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلامه»[(٣)].

قال الراغب: «العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للذي يستنبطه الإنسان بتلك القوة عقل، ولهذا قال علي رضي الله تعالى عنه: العقل عقلان: مطبوع ومسموع، فلا ينفع مطبوع إذا لم يكن مسموعًا، كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممنوع»[(٤)].

وقال: «اشتقاقه من العقل، وهو المنع؛ لمنعه صاحبه مما لا يليق، أو من المعقل وهو الملجأ لالتجاء صاحبه إليه»[(٥)].

---

(١) مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس القزويني، ٤/ ٦٩-٧٢.

(٢) القاموس المحيط، للفيروزآبادي ١/ ١٠٣٤.

(٣) تاج العروس، لمحمد مرتضى الزبيدي، ٣٠/ ١٨.

(٤) المرجع السابق ٣٠/ ١٨.

(٥) تاج العروس ٣٠/ ١٨.

ومن خلال ما سبق يتضح أن معاني كلمة (عقل) في اللغة تدور حول معاني: العلم، حسن الفهم، المنع، الإمساك، الشد، الحصن، والملجأ.

ثانيًا: تعريف العقل اصطلاحًا:

جاء معنى العقل في الكتاب والسنة بمعنى الصفة أو الآلة التي تقوم بالعاقل ويميز بها ويدرك بواسطتها المدركات، قال ابن تيمية: «(العقل) في كتاب الله وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين هو أمر يقوم بالعاقل، سواء سمي عرضًا أو صفة، ليس هو عينًا قائمة بنفسها»(١).

وقال: «والمقصود هنا أن اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة، وهو الذي يسمى عرضًا قائمًا بالعاقل، وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢]. وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦] ... ونحو ذلك مما يدل على أن العقل مصدر: عقل يعقل عقلًا، وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه، ولا العمل بلا علم؛ بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم، ولهذا قال أهل النار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾ [الملك: ١٠] ...»(٢).

المطلب الثاني: مكانة العقل في الإسلام:

امتن الله ﷻ على الإنسان بنعمة العقل الذي ميَّزه به عن سائر الحيوانات، وهذه النعمة هي التي ترفع صاحبها إلى مستوى التكليف والمسؤولية؛ لأن التكليف وخطاب من لا عقل له محال كالجماد والبهيمة(٣)، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٢٣﴾ [الملك: ٢٣]، ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]، وعن عائشة، عن النبي ﷺ، قال: ((رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل))(٤).

وقد اهتم الإسلام بالعقل اهتمامًا كبيرًا، وأعلى من منزلته وقيمته، ولا يوجد كتاب خاطب العقل وكرمه كالقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۝٩٨﴾ [الأنعام: ٩٨]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢]، وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٣﴾ [الجاثية: ١٣].

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٩/ ٢٧١.

(٢) المصدر السابق، ٩/ ٢٨٧-٢٨٦.

(٣) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي ١/ ١٥٠.

(٤) رواه أبو داود (٤٣٩٨) ٤/ ١٣٩، والسياق له والنسائي (٣٤٣٢) ٦/ ٥٦، وابن ماجه (٢٠٤١) ١/ ٦٥٨، وأحمد (٢٤٦٩٤) ٤١/ ٢٢٤، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم». ووافقه الذهبي. ينظر: المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، ٢/ ٦٧، وإرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني، ٢/ ٤-٥.

وورد كثير من الآيات الكريمة في كتاب الله تعالى تؤكد هذه الأهمية وتلك المكانة، منها: الدعوة إلى التفكر والتدبر في كتاب الله، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩]، وإلى التدبر في مخلوقات الله قال تعالى: ﴿أَوَ لَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ٨﴾ [الروم: ٨]، وحرم كل ما يذهبه ويؤثر عليه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة: ٩٠].

غير أن الله تعالى جعل للعقل حدودًا في إدراكه للأشياء ينتهي إليها، فلم يجعل له سبيلًا لإدراك أغلب مسائل الاعتقاد، فلو كان العقل يدرك كلّ مطلوب لاستغنى الخلق به عن الشّرع، وانتفت الحكمة من إرسال الأنبياء والرسل، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥]، ولولا «الرسالة لم يهتدِ العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد، فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منة عليهم أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبيَّن لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم، بل أشرّ حالًا منها»[(١)]وكذا صفات ربنا ﷻ، رغم أننا فهمنا معانيها بعقولنا، إلا أن حقيقتها وكيفياتها لا تدركه عقولنا؛ لأن العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، والموصوف ﷻ ليس كمثله شيء؛ فهو متصف بصفات الكمال التي لا يماثله فيها شيء[(٢)]، وكذلك ما أخبر الله ﷻ عنه من أمور الآخرة؛ كالجنة ونعيمها، والنار وجحيمها، وغير ذلك من المغيبات، ليس للعقل وقوف على كيفيتها؛ لكونه لا عهد له بها في هذه الدار[(٣)]، قال ابن تيمية: «ونحن نعلم أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول، بل بمحارات العقول، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته»[(٤)].

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٩/ ١٠٠.
(٢) ينظر: الرسالة التدمرية، لابن تيمية، ص٤٤-٤٥.
(٣) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ٢/ ٥٧٨.
(٤) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ١/ ١٤٧.

المبحث الأول: جوهر الدعوة في الإسلام:

إن مما يستدل به العقل على صحة الإسلام جوهرَ الدعوة الإسلامية، وهو التوحيد الذي به يخرج العبد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ويتحرر به من رقّ عبودية المخلوق إلى حرية عبادة الخالق[1]، من خلال الدعوة إلى عبادة الله وحده، وطمس معالم الشرك بكل أشكاله، وإزالة كل ما يعبد من دون الله من ملك أو رسول، أو نبي أو ولي، أو شجر أو حجر، أو شمس أو قمر، أو غير ذلك كائناً من كان[2]، وهي الغاية العظمى التي أوجد الله الخلق لأجلها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦][3]، فهو الخالق، ومالك الأمر كله، وهو الرازق، المعطي المانع، المحيي المميت، يُعز من يشاء، ويُذل من يشاء، بيده وحده الخير: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

ولهذا التوحيدِ أثر عظيم في شخصية المسلم، منه حصول الأمن النفسي والهداية، وطمأنينة القلب، عندما يتخلص من رق المخلوقين والخوف منهم والعمل لأجلهم، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، والظلم هو الشرك بأن يجعل لله ندًّا يدعوه فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله تعالى[4]، فعن عبد الله ﷺ، قال: ((لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم [لقمان: ١٣]))[5].

كما أنه يحقق التوكل التام على الله تعالى، والرضا بأقدار الله تعالى، عندما يعلم المسلم أن الأمر بيد الله سبحانه وحده، هو الحافظ والمعين، والنافع والضار، فلا يفعل أو يترك فعلًا مخافة أحدٍ من البشر يدل على ذلك قولهﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: ((يا غلام، إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو

(١) النبوات، لابن تيمية، ١/ ٢٢. بتصرف.

(٢) ينظر: تقريب التدمرية، لابن عثيمين، ص: ١١١.

(٣) ينظر: النبوات لابن تيمية، ١/ ٢٢.

(٤) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٣٤٨.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب (أحاديث الأنبياء)، باب (قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا} [النساء: ١٢٥])، رقم الحديث (٣٣٦٠)، ٤/ ١٤١.

اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف))[1].

كذلك عندما يعلم أن الله الذي خلقه هو الذي يدبر أمره، يهديه ويشفيه، ويرزقه ويميته ويبعثه، ويغفر ذنوبه ويرحمه، وبيده وحده مصيره يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٣﴾ [الشعراء: ٧٧-٨٣][2].

ولم تكن هذه الدعوة التي جاء بها محمد ﷺ مُبتدِعة لشيء لم يُسبَق إليه؛ وإنما جاءت امتدادًا وتقريرًا لكل الرسالات الربانية السابقة الداعية للتوحيد، أيًّا كانت الظروف والأحوال التي يعيشها هذا المجتمع، مهما اختلفت الأزمنة والأمكنة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، «فالمكذب بدعوته مكذب بدعوة إخوانه كلهم، فإن جميع الرسل جاؤوا بما جاء به، فإذا كذبه المكذب فقد زعم أن ما جاء به باطل، وفي ذلك تكذيب كل رسول أرسله الله وكل كتاب أنزله الله...»[3].

المبحث الثاني: موافقة الإسلام للفطرة[4] السليمة:

الإسلام دين الفطرة كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم: ٣٠]، ويستدل العقل بصحة الدين الإسلامي بهذا الدليل؛ لأن كلّ ما جاء به يتوافق مع طبيعة النفس وسعادتها واستقرارها، وكل تعاليمه وأحكامه جاءت لتبيّن للإنسان الطريق الصحيح نحو فطرته السليمة؛ كي يسعد في الدنيا والآخرة، وأي انحراف عن الإسلام فهو خروج عن الفطرة ولا شك، والأدلة على موافقة الإسلام للفطرة كثيرة، منها:

---

(١) أخرجه أحمد، (مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب)، رقم الحديث (٢٦٦٩) ٤/ ٤٠٩، والترمذي ٤/ ٦٦٧، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، قال: «إسناد صحيح» ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/ ٤٩٧.

(٢) للاستزادة ينظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، لعبد الله بن عبد الرحمن الجربوع.

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية، ٣/ ٣٤٧.

(٤) اختلف العلماء في معنى الفطرة، فقال بعضهم: إنها الخلقة، ويريدون بذلك أي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه، والسلامة التي ليس معها كفر ولا إيمان، ولا معرفة وإنكار ثم يعتقد بعد البلوغ. وذهب بعضهم إلى أنها البداءة التي ابتدأ الله الخلق عليها، وقالوا بأن الله ابتدأهم للحياة والموت والشقاء والسعادة، وكل ما سبق في علم الله مما يصيرون إليه عند البلوغ أو عند العاقبة. وبعضهم إلى أن الله فطرهم على الإنكار والمعرفة، وعلى الكفر والإيمان، وبعضهم ذهب إلى أنها الميثاق الذي أخذه الله من ذرية آدم قبل أن يخرجوا إلى الدنيا يوم استخرجهم وهم في ظهره فخاطبهم (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا)، ثم أخرجهم من أصلاب آبائهم مخلوقين مطبوعين على تلك المعرفة، ينظر: إلى هذه الأقوال ومن قال بها ومناقشتها في كتاب الفطرة: حقيقتها ومذاهب الناس فيها، لعلي بن عبد الله القرني ص: ٧٠ -١٣٠، والراجح أن المراد بالفطرة هو الإسلام، وهذا القول هو الذي عليه أكثر الصحابة والتابعين وغيرهم من علماء السلف، ينظر: الفطرة: حقيقتها ومذاهب الناس فيها، لعلي بن عبد الله القرني، ص: ١٥٠ -١٥١.

معرفة الله تعالى وتوحيده:

إن توحيد الله وعدم الإشراك به هو مقتضى الفطرة التي فطرت عليها البشرية كلها؛ فقد ولد الناس حنفاء على فطرة الإسلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء))[1]، يدل على ذلك لجوء الإنسان وفزعه إلى خالقه سبحانه عند الشدة والحاجة، سواء أكان مؤمنًا أم كافرًا، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس: ٢٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس: ١٢].

وشعور الإنسان بحاجته وفقره إلى ربه تابع لشعوره بوجوده وإقراره، وما ذلك إلا الفطرة الإلهية المستكنة في النفوس البشرية، قال الشهاب: «أي لرجوعهم إلى الفطرة التي جبل عليها كل أحد من التوحيد، وأنه لا متصرّف إلا الله المركوز في طبائع العالم»[2].

وجاء الإسلام متوافقًا مع هذه الفطرة، فدعاهم إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وإخلاص الدين لله وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، ففَعَلَ الأولَ وهو خلقهم؛ ليفعلوا هم الثاني وهي العبادة، بأن يُفردوه بالعبادة كما أفردوه بالربوبية، وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأنزلت لأجله الكتب، ووقعت فيه الخصومة بين الرسل وأممهم، وهو توحيد العبادة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

دافع النكاح لدى الإنسان:

إن من حكمة الله البالغة أن خلق الزوجين الذكر والأنثى، وفطر كلًّا منهما على الميل إلى الآخر، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [النجم: ٤٥]، وقال: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: ٤٩]، والنكاح ارتباط وثيق

(١) أخرجه البخاري، كتاب (الجنائز)، باب (إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام)، رقم الحديث (١٣٥٨) ٢/ ٩٤. ومسلم في كتاب (القدر)، باب (معْنَى: كُلّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وأَطْفَالِ الْمُسْلِمِين)، رقم الحديث (٢٦٥٨) ٤/ ٢٠٤٧.

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، لشهاب الدين أحمد الخفاجي، ٥/ ١٨. وينظر: روح المعاني، للألوسي ١١/ ٩٧. وينظر: الشواهد الأخرى في الفطرة والعقيدة الإسلامية، لحافظ محمد الجعبري، ص: ١٣٣-١٥٣، رسالة ماجستير.

بين ذكر وأنثى، يجعل لكل واحد من الزوجين حقَّ الاستمتاع بالآخر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

ويعد النكاح من الأمور الفطرية أو الحاجات الإنسانية الضرورية، والإسلام لا ينكره بل «يقر بهذا الدافع ويأمر برعايته وتوجيهه واستثماره، فلا ينكره ولا يحقره ولكن يعمل على وضع القواعد المشروعة والمبادئ الأخلاقية الثابتة التي تعمل على إنجاحه، وتضمن استمراريته، المقرونة بالمودة والرحمة والألفة، والمعاشرة بالمعروف لبناء الأسرة الصالحة وفق الغاية المطلوبة من الفرد في إصلاح ذاته وأسرته ومجتمعه، والذي يحقق نقاء النسل وعدم اختلاطه»[(١)].

ويحرم على المسلم الرهبانية كما عند النصارى، بأن يمتنع عن الزواج، من باب الزهد والتفرغ للعبادة، ولا سيما إذا كان قادرًا على ذلك؛ لأنها تخالف هذه الفطرة، يدل على ذلك ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء))[(٢)]، ومن ذلك تحذيره ﷺ لمن تعاهدوا على اعتزال النساء لأجل التفرغ للعبادة، فعن أَنَس بْن مَالِك –رضي الله عنهما– قال: ((جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))[(٣)].

دافع التملك:

من الأمور الفطرية لدى الإنسان دافع التملك، فهو مجبول على كل ما يحقق له القوة والأمن من الفقر، والإسلام يتجاوب مع هذا الدافع بإقراره حقه في ذلك، قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤]، ومنها قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ

(١) الإنسان، للمطرودي، ص: ٢٧١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب (النكاح)، باب (قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج))، وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح)، رقم الحديث (٥٠٦٥) ٧/ ٢، ومسلم في كتاب (النكاح)، باب (استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم)، رقم الحديث (١٤٠٠)، ٢/ ١٠١٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب (النكاح)، باب (باب الترغيب في النكاح)، رقم الحديث (٥٠٦٣) ٧/ ٢.

وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠]، وروي عن النبي ﷺ قوله: ((لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب))[١]، فلم يقم بنفيه كما فعلت الشيوعيَّة، ولا بإشباعه إلى الحدِّ الذي يجعله يأكل حقوق الناس كما فعلت الرأسمالية.

ألا أن هذا الإقرار من الإسلام مقيد بشروط وضوابط تمنع الإضرار بالغير، مع وَضَع عقوبات صارمة لمن اعتدى على حقهم، ومنع التملك غير المشروع، وتجريم فاعله، كالتعدي على أموال الغير، كتملك أموال الأيتام، أو الأراضي العامّة، أو الأموال الناتجة عن الربا، أو القمار، وغير ذلك، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، وقال ﷺ: ((مَن ظلم شبرًا من الأرض طُوِّقه من سبع أرضين))[٢]، كما وجه الإنسان بأن يجعل من ماله حقًّا ينفع به المحتاجين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥]، وبذلك يجعل الإسلام «حب التملك ليس هدفًا في ذاته، ولكنه وسيله لهدف أسمى وأعظم، وهو عمارة الأرض فتكون هادفة إلى الخير، وراعية له، وباذلة الجد في العمل الصالح لامتلاك الخيرات والطيبات، واستثمار الأرض ومنافعها، وسننها وقوانينها في التغيير والتبديل، حتى تتلاءم معه، وإن لم يقدر على ذلك عمد إلى مجاراتها»[٣].

دافع حب الرفق والتيسير:

فطر الإنسان على حب الرفق والتيسير، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال تعالى: ((قد فعلت))[٤]، وقال سبحانه: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

وقد راعى الإسلام هذا الأمر الفطري في الإنسان، فمقت الغلو والتشديد، ونفى الحرج والمشقة في الدين، وأمر بالمستطاع، قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة: ٦]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقال: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب (الرقاق)، باب (بما يتقى من فتنة المال)، رقم الحديث (٦٤٣٦) ٨/ ٩٢.

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب (المظالم والغصب)، باب (إثم من ظلم شيئًا من الأرض)، رقم الحديث (٢٤٥٢) ٣/ ١٣٠.

(٣) الإنسان، للمطرودي، ص: ٣٠٠.

(٤) أخرجه مسلم كتاب (الإيمان)، باب (بيان قوله تعالى: {وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه} [البقرة: ٢٨٤] رقم الحديث (١٢٦) ١/ ١١٦.

وقد كان رسول الله ﷺ نموذجًا ومثالًا لتطبيق الرفق والتيسير الذي جاء به الإسلام في عباداته وأفعاله، وتعامله مع أصحابه وأعدائه، ومن الأمثلة على ذلك قوله ﷺ: ((إن الله لم يبعثني مُعَنِّتًا، ولا مُتَعَنِّتًا، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا))[1]، وقوله ﷺ لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري –رضي الله عنهما– لما بعثهما إلى اليمن:

((يسرا ولا تعسرا بشرا ولا تنفرا))[2]، وكان من هديه ﷺ إذا كان في الأمر خيار أن يختار الأيسر، فما عرض على الرسول ﷺ أمران إلا اختار أيسرهما، فعنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها–، أَنَّهَا قَالَتْ: ((مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ))[3].

وكان ﷺ يكره أن يشق على أمته في مواضع كثيرة منها: التيمم بالتراب بدل الطهارة بالماء عند عدمه، أو عدم القدرة على استعماله، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة: ٦].

وتجد ذلك في باب العبادات أكثر وضوحًا، ففي كل كثيرة من شعائره يسر، وكل عبادة من عبادته يسر، وهذا من لطف الله بعباده، قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ۝١٩﴾ [الشورى: ١٩]، فلا يشق عليهم، ولا يكلفهم ما لا يطيقون، والواجبات، متى تعذر شيء منها على المكلف سقط إيجابه، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: ((إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم))[4]، فعلى سبيل المثال رخّص للمسافر والمريض الفطر في رمضان ثم يقضي الأيام التي أفطرها في سفره أو مرضه في وقت آخر متى زال عنه الوصف، قال سبحانه: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفرض الله سبحانه الحج على الناس، لكنه ليس في حقهم كلهم بل في حق المستطيع منهم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧]، وغير ذلك كثير.

---

(١) ا أخرجه مسلم في كتاب (الطلاق)، باب (بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لَا يَكُونُ طَلَاقًا إِلَّا بِالنِّيَّةِ)، رقم الحديث (١٤٧٨) ٢/ ١١٠٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب (الجهاد والسير)، باب (ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه)، رقم الحديث (٣٠٣٨) ٤/ ٦٥، ومسلم في كتاب (الجهاد والسير)، باب (فِي الْأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ، وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ)، رقم الحديث (١٧٣٣) ٣/ ١٣٥٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب (الأدب)، باب (قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يسروا ولا تعسروا))، رقم الحديث (٦١٢٦) ٨/ ٣٠ ومسلم في كتاب (الفضائل)، باب (مُبَاعَدَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْآثَامِ وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ، أَسْهَلَهُ وَانْتِقَامِهِ لِلَّهِ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِ)، رقم الحديث (٢٣٢٧) ٣/ ١٨١٣.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب (الحج)، باب (بَابُ فَرْضِ الْحَجِّ مَرَّةً فِي الْعُمُرِ)، رقم الحديث (١٣٣٧) ٢/ ٩٧٥.

وفي القتال يظهر رفع الحرج في عفوه تعالى عن أصحاب الأعذار الذين لا يطيقونه، فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة: ٩١].

ولم يقتصر التيسير في الإسلام على العقيدة والعبادة، بل تعداهما إلى المعاملات كالتجارة والصناعة، والزراعة والتعليم وغيرها، فحث على اتباع التيسير والمسامحة في المعاملات فعن جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما–: أن رسول الله ﷺ، قال: ((رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى))[1].

فالحرج والتشديد مرفوع عن الدين الإسلامي ومنزوع منه ابتداء، والأمثلة كثيرة في ذلك ولو ذكرناها لطال المقام.

المبحث الثالث: موافقة الإسلام للعقل السليم:

دعا الإسلام إلى إعمال العقل، والنظر والتفكر، قال تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢]، وقال: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس: ٦٨]، وقال: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١].

وحارب التقليد، واتباع الآباء بغير علم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠].

ودور الإسلام بمثابة الهادي والمرشد للعقل فقط؛ لأن أحكامه وعقائده تتوافق معه، وهذا دليل على صحته، فلا منافاة بينهما للأسباب التالية:

١- أن الأدلة نصبت في الشريعة لتتلقاها عقول المكلفين؛ حتى يعملوا بمقتضاها من الدخول تحت أحكام التكليف، ولو نافتها؛ لم تتلقها ولم تعمل بها.

٢- أنها لو نافتها لكان التكليف بمقتضاها تكليفًا بما لا يطاق، وذلك من جهة التكليف بتصديق ما لا يصدقه العقل ولا يتصوره.

٣- لو جاءت على خلاف ما يقتضيه العقل لكان لزوم التكليف على العاقل أشد من لزومه على المعتوه والصبي والنائم؛ إذ لا عقل لهؤلاء يصدق أو لا يصدق، بخلاف العاقل الذي يأتيه ما لا يمكن تصديقه به، ولما كان التكليف ساقطًا عن هؤلاء؛ لزم أن يكون ساقطًا عن العقلاء أيضًا، وذلك مناف لوضع الشريعة؛ فكان ما يؤدي إليه باطلًا.

(١) أخرجه البخاري، كتاب (البيوع)، باب (السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقًا فليطلبه في عفاف)، رقم الحديث (٢٠٧٦) ٢/ ٥٧.

٤- أنه لو كان كذلك لكان الكفار أول من رد الشريعة به، فقد كانوا يفترون على الرسول ﷺ وعليها؛ فتارة يقولون: ساحر، وتارة: مجنون، وتارة يكذبونه، بل كان أولى أن يقولون: إن هذا لا يعقل، أو هو مخالف للعقول، أو ما أشبه ذلك، فلما لم يكن من ذلك شيء؛ دل على أنهم عقلوا ما فيه، وعرفوا جريانه على مقتضى العقول؛ إلا أنهم أبوا من اتباعه لأمور أخر(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان مكانة العقل مع النقل وتوافقهما، ما نصه: «بل العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكتمل العلم والعمل، ولكنه ليس مستقلًّا بذلك، لكونه غريزة في النفس وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي من العين، فإذا اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأنوار التي يعجز وحده عن إدراكها، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمورًا حيوانية، قد يكون فيها محبة ووجد وذوق، كما يحصل للبهيمة فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن إدراكه، ولم تأتِ بما يعلم العقل امتناعه»(٢).

فلا تعارض بين قطعي الوحي وقطعي العقل، «وهذا متفق عليه بين العقلاء؛ لأن الدليل القطعي هو الذي يجب ثبوت مدلوله، ولا يمكن أن تكون دلالته باطلة، وحينئذ فلو تعارض دليلان قطعيان وأحدهما يناقض مدلول الآخر للزم الجمع بين النقيضين وهو محال، بل كل ما يعتقد تعارضه من الدلائل التي يعتقد أنها قطعية، فلا بد من أن يكون الدليلان أو أحدهما غير قطعي، أو ألَّا يكون مدلولاهما متناقضين، فأما مع تناقض المدلولين المعلومين فيمتنع تعارض الدليلين»(٣).

المبحث الرابع: موافقة الإسلام للحقائق العلمية:

الإسلام دين العلم والمعرفة والحضارة، يدل على ذلك أن أول كلمة نزلت من عند الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم، هي قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، كما أنه يرى أن العلم طريقٌ للخشية والخضوع والانقياد لأمر الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. ويرفع من شأن العلم، قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[الزُّمَر: ٩].

ولم يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالازدياد من شيء إلا من العلم ، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾[طه: ١١٤] ، وأشرك الله أهل العلم مع الملائكة في الشهادة

(١) ينظر: الموافقات، للشاطبي، ٣/ ٢٠٨-٢١٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٣٨. وينظر: مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية، ١٢/ ٨٢. ومنهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، لأحمد بن علي الزاملي عسيري، ص: ٣٥٦.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ١/ ٧٩.

على أعظم حقيقة وهي وحدانيته وتفرده بالألوهية فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾[آل عمران: ١٨] ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة))(١)، فلقد كانت العناية بالعلم في الإسلام بالنظر إلى «العلم والدين كتوءمين، وأن تهذيب العلم كان جزءًا من التوجيهات الدينية منذ البداية. وأن تطبيق هذه القاعدة أدى إلى التقدم العلمي العجيب في عصر الحضارة الإسلامية العظمى التي استفاد منها الغرب قبل نهضته» (٢) .

ولا يمكن أن يكون هناك تناقض بين النصوص الشرعية وبين الحقائق العلمية الصحيحة؛ لأن «مصدرهما واحد وغايتهما واحدة، فمصدرهما هو الله سبحانه وتعالى، فالله هو الذي خلق هذا الكون وما فيه من معارف وعلوم، وهو الذي شرع هذا الدين وما فيه من أخبار وأحكام، وما كان من الله فإنه لا يتناقض»(٣).

وقد توصل العلماء إلى حقائق علمية صحيحة، تتطابق مع ما جاء في الكتاب والسنة النبوية الصحيحة، تبين إعجاز دين الإسلام إلا إن كثيراً ممن كتب في الإعجاز العلمي ممن ليس له قدم في العلم الشرعي جعلوا الأبحاث في العلوم التجريبية أصلاً يحكم به القرآن، وتُؤوّل آياته لتناسب مع هذه النظريات والفرضيات، فوقعوا في التحريف ، كما وقع عند المعتزلة الذين جعلوا العقل المجرد أصلاً يحتكمون إليه، وكما وقع لغيرهم من الطوائف المنحرفة(٤)، كما أن هذه النظريات قد يتبين بعد مرور زمن أنها نظريات غير صحيحة، وهذا يؤثر في قدسية القرآن الكريم، ويخرجه عن مضمونه وهدفه الحقيقي، وهو المعلومات الدينية «أي: كيف يعرفون ربهم، وكيف يعبدونه، أما المعلومات الدنيوية بما فيها العلوم التجريبية فهي موكولة للناس، وإن جاءت فإنها تجيء مرتبطة بالدلالة على حكم عقدي أو شرعي، فهي جاءت تبعًا وليس أصالةً؛ أي أن القرآن لم يقصد أن يذكرها على أنها حقيقة علمية مجردة، بل ليستدل بها مثلاً: على توحيد الله وأحقيته للعبادة، أو على حكم تشريعي، أو على إثبات اليوم الآخر»(٥).

وسأذكر هنا بعض الأمثلة على توافق بعض الحقائق العلمية الصحيحة الثابتة مع ما جاء في الكتاب والسنة منها:

(١) أخرجه مسلم في كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر)، رقم الحديث (١٣٣٧)، ٤/ ٢٠٧٤.
(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، لموريس بوكاي، ترجمة : الشيخ حسن خالد، ص ٢١.
(٣) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، لأحمد بن علي الزاملي عسيري، رسالة ماجستير، ص: ٣٦٥.
(٤) ينظر : مقالات في علم القرآن وأصول التفسير، لمساعد الطيار (٥٢).
(٥) المرجع السابق (٥٢، ٦٣).

التوافق العلمي في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[النساء: ٥٦] فقدْ أثبتت التجارب العلمية الحديثة أن مركز الحس بالألم في الإنسان الجلد(١).

ومنها التوافق العلمي مع قول الله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾[الزُّمَر: ٥] .

التكوير " التدوير يقال: كورت العمامة وكورتها: إذا دورتها على جِهَة الاستدارة(٢)، وقد أثبت العلم الحديث كروية الأرض وسبقه القرآن الكريم والسنة النبوية قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة، يقول ابن حزم: إن «البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها، قال الله عز وجل ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾، وهذا أوضح بيان في تكوير بعضها على بعض مأخوذ من كور العمامة وهو إدارتها وهذا نص على تكوير الأرض ...»(٣)

ويقول ابن تيمية: «وقد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة أن الأفلاك مستديرة قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنبياء: ٣٣] قال ابن عباس: في فلكة مثل فلكة المغزل، وهكذا هو في لسان العرب الفلك الشيء المستدير...»(٤).

ومنها توافقه مع تطور خلق الإنسان في بطن أمه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[المؤمنون: ١٢-١٤]، فالآيات الكريمة تشير «إلى أطوار التكوين السبعة التي يمر فيها الإنسان حتى يصبح بشرًا سويًّا. ولقد أصبحت هذه الأطوار من أهم دراسات العلوم الطبية الحديثة، وكشفت هذه العلوم أسرار التعبير بهذه الألفاظ المخصوصة في هذه الأطوار (نطفة، علقة، مضغة، تكوّن العظام، تكسّو اللحم على العظام)»(٥).

وقد اكتشف في علم الأجنة أن هناك فترة زمنية بين مرحلة النطفة ومرحلة العلقة، هذه الفترة تزيد على أسبوعين، حيث يتباطأُ فيها نمو الجنين؛ لانغراز النطفة في جدار

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، لفهد الرومي، ص٢٩٩

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ٥/ ١٥٦، والمعجم الوسيط، ٨٠٤/٢.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، ٧٨/٢.

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٩٢/٢٥-١٩٣، وينظر: لسان العرب، ١٠/ ٤٧٨.

(٥) مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفى مسلم، ص٢١٦.

الرحم، والجنين في هذه المرحلة لا ينمو، ولكنه يوطد طرائق امتصاصه للغذاء من الرحم، ولا يكون في هذه المرحلة إلا كقرص من الخلايا المنتظمة على شكل صفين متوازيين، فهذا البطء في مرحلة نمو الجنين في الأسبوع الثاني والثالث من اللقاح –من النطفة إلى العلقة– عبر الله عنها بحرف (ثم)، حرف عطف للترتيب على التراخي.

أما من العلقة إلى المضغة إلى العظام، إلى اللحم عطف بالفاء، وهو حرف عطف للترتيب والتعقيب[1] .

كما ثبت في القرآن أن نطفة الرجل هي التي تتحكم في نوع الجنين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦﴾[النجم: ٤٥–٤٦] .

والنطفة التي تمنى هي من الرجل، وليس من المرأة. وقد ثبت بالعلم الحديث بواسطة المجاهر والتحاليل والتصوير وغير ذلك من الأجهزة الحديثة «أن الحيوان المنوي للرجل يحمل نوعين من الحيوانات المنوية، فنصفها حيوان منوي مذكر يحتوي على (٢٣) كروموسوم أي صبغي، يرمز له بحرف (Y)، والنصف الآخر يحمل (٢٣) كروموسوم أنثوي يرمزون له بحرف (x)

ولكل من النوعين شكله الخاص وصفاته الخاصة، أما الأنثى فبويضتها تحتوي على (٢٣) كروموسوم أنثوي المرموز له (x) فقط.

فإذا سبق الحيوان المنوي الذي يحمل كروموسوم الذكورة (y)، فلقح البويضة، صار في البويضة النوعين الأنثوي والذكري، فيكون الجنين ذكراً بإذن الله، ويحمل في جسمه النوعين، وبعد أن يصبح ذلك الجنين بالغًا ينتج جسمه النوعين، أما إذا سبق الحيوان المنوي المؤنث، الذي يحمل الكروموسوم (x) ولقح البويضة اجتمع فيها أنثوي مع أنثوي (x x)، فيكون أنثى بإذن الله، ثم لا تنتج بعد أن تبلغ إلا نوعًا واحدًا، وهو الأنثوي. والله أعلم»[2]، وهناك أمثلة أخرى لا يتسع المقام لذكرها، وبعضها آثرتُ عدم ذكرها لوجود خلاف في كونها متوافقة مع القرآن والسنة.

وما هذا التوافق بين القرآن الكريم وبين بعض الحقائق العلمية الحديثة إلا دليل على صحته، وأنه منزل من عند الله تعالى ، لا يمكن أن تكون من صنع محمد صلى الله عليه وسلم الرجل الأمي الذي عاش في زمن لا تتوفر فيه هذه الأجهزة الدقيقة التي تكشف هذه الحقائق.

(١) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، لمحمد راتب النابلسي، ٨٦/١.

(٢) دحض دعوى المستشرقين أن القرآن من عند النبي صلى الله عليه وسلم، لسعود بن عبد العزيز الخلف، ص ١٧٥.

المبحث الخامس: ثبات الإسلام واستمراره:

إن ثبات الإسلام واستمراره منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة لهو دليل عقلي على صحته، وأنه دين الله الخالد الصالح لكل زمان ومكان، ومن أسباب ذلك:

١) سلامة مصادره من التحريف، فقد ضمن الله حفظ القرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ وهو القرآن، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطلٌ مَا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه، من أحكامه وحدوده وفرائضه»(١).

وبهذا الحفظ طمأن النبي ﷺ وتكفل الله له بأن يقرئه فلا ينسى شيئًا مما أوحاه إليه، إلا شيئًا أراد الله أن ينسيه إياه، قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى: ٦-٧]، وتكفل له بأن يجمعه في صدره، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ [القيامة: ١٦-١٨].

وقد أيد الله هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فُصِّلَت: ٤٢]، وهذا أمر متفق عليه، أما كتب الشرائع السابقة فلم يضمن الله حفظها، فطرأ عليها التحريف والتغيير والأدلة على ذلك كثيرة(٢)، بل أخبرنا تعالى عن ذلك في القرآن الكريم، فعن تحريف اليهود وتغييرهم الذي أدخلوه في التوراة قال تعالى: ﴿۞أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [البقرة: ٧٥]، وأما عن تحريف النصارى الذي أدخلوه على الإنجيل فقد قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝١٤ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ [المائدة: ١٤-١٥].

كما تكفَّل الله بحفظ السنة النبوية الصحيحة، فهي من الذكر المحفوظ بحفظ الله تعالى لا يضيع منها شيء(٣)؛ لأنها شارحة ومبينة له، ففي «القرآن مُجْمَل كثير؛ كالصلاة والزكاة والحج، وغير ذلك...، فإذا كان بيانُه ﷺ لهذا المُجْمَل غيرَ محفوظٍ ولا مضمون سلامته، فقد بطل الانتفاع بنصِّ القرآن، فبطلت أكثر الشرائع المُفترضة علينا فيه»(٤).

---

(١) تفسير الطبري، ١٧/ ٦٨.

(٢) ينظر: أمثلة على ذلك في: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، لسعود الخلف، ص: ٩٤- ١٠٧، ٢٢٦- ٢٣٩.

(٣) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، (١/ ٩٣ - ٩٤).

(٤) المصدر السابق، (١/ ١١٤، ١١٥) باختصار يسير.

فتوفَّر فيها الإسناد المُتَّصل به ﷺ، قال عبد اللَّهِ بنُ الْمُبَارَكِ ﷺ: «الإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ، وَلَوْلَا الإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ»(١).

وهو –أي علم الإسناد– مما خص الله به أمة محمد ﷺ، وجعله سلمًا إلى الدراية، خلافًا لأهل الكتاب، حيث لا إسناد لهم يؤثرون به المنقولات، وهكذا المبتدعون من هذه الأمة أهل الضلالات، قام به أهل العلم المأثور عن الرسول ﷺ، لا تأخذ أحدهم في الله لومة لائم، ولا يصدهم عن سبيل الله العظائم؛ بل يتكلم أحدهم بالحق الذي عليه، ويتكلم في أحب الناس إليه، عملًا بقوله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء: ١٣٥]، ولهم من التعديل والتجريح، والتضعيف والتصحيح من السعي المشكور والعمل المبرور ما كان من أسباب حفظ الدين(٢).

٢) أودع الله في الإسلام عنصر الثبات وعنصر المرونة معًا، وهذا من روائع الإعجاز في هذا الدين، وآية من آيات عمومه وخلوده، وصلاحيته لكل زمان وكل مكان.

ويتجلى هذا الثبات في المصادر الأصلية القطعية في هذا الدين كتاب الله، وسنة رسوله، في أحكامه التي تتعلق بوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم ونحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه، لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة(٣).

وتتجلى المرونة في هذا الدين بالمصادر الاجتهادية التي اختلف فقهاء الأمة في مدى الاحتجاج بها، مثل: الإجماع، والقياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وأقوال الصحابة، وشرع من قبلنا، وغير ذلك من مآخذ الاجتهاد، وطرائق الاستنباط، وهو ما يتعلق بجزئيات الأحكام وفروعها العملية، والتي تتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانًا ومكانًا وحالًا، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها، فإن الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة(٤).

المبحث السادس: سلامة مصادر الإسلام من الاختلاف والتناقض:

ومن الأدلة العقلية على صحة الإسلام سلامةُ القرآن من الاختلاف والتناقض، وقد جاء ما يؤكد ذلك في القرآن نفسه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

---

(١) مقدمة صحيح مسلم، باب (في أن الإسناد من الدين) ١/ ١٥.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ١/ ٩. بتصرف.

(٣) ينظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم، ١/ ٣٣٠-٣٣١.

(٤) ينظر: المصدر السابق ١/ ٣٣٠-٣٣١.

وجاء في تفسير القرطبي: «إنه ليس من متكلم يتكلم كلامًا كثيرًا إلا وجد في كلامه اختلاف كثير، إما في الوصف واللفظ، وإما في جودة المعنى، وإما في التناقض، وإما في الكذب فأنزل الله ﷻ القرآن وأمرهم بتدبره؛ لأنهم لا يجدون فيه اختلافًا في وصف، ولا ردًّا له في معنى، ولا تناقضًا، ولا كذبًا فيما يخبرون به من الغيوب وما يسرون»(١).

وقال ابن كثير: «ولو كان من عند غير الله أي لو كان مفتعلًا مختلقًا، كما يقوله من يقول من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافًا، أي اضطرابًا وتضادًّا كثيرًا، أي وهذا سالم من الاختلاف، فهو من عند الله...»(٢).

والاختلاف المنفي في هذه الآية هو عن ذات القرآن؛ أي أنه على منهج واحد ومرتبة واحدة في الفصاحة والنظم، مناسب أولُه آخرَه، فلا تجد بعضه يدعو إلى الدين وبعضه يدعو إلى الدنيا، أو بعضه على وزن الشعر وبعضه منزحف(٣)، أو بعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة، وبعضه على أسلوب يخالفه، وكلام الله تعالى منزَّه عن هذه الاختلافات، ومسوق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى، وصرفهم عن الدنيا إلى الدين، وكلام الآدميين تتطرق إليه هذه الاختلافات(٤).

وهذا الاختلاف والتناقض المنفي عن القرآن الكريم دليلٌ على أنه كلام الله تعالى، الذي تكفل بحفظه من التحريف والتغيير، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وما يظهر للناظر من تعارض بين بعض نصوص الكتاب، فهو تعارض ظاهري ومتوهم، وهو أمر نسبي يختلف من شخص لآخر بحسب علمه وفهمه لتلك النصوص، وفي ذلك قال أبو إسحاق الإسفراييني: «إذا تعارضت الآي وتعذر فيها الترتيب والجمع طلب التاريخ وترك المتقدم منهما بالمتأخر، ويكون ذلك نسخًا له، وإن لم يوجد التاريخ وكان الإجماع على استعمال إحدى الآيتين علم بإجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها، قال: ولا يوجد في القرآن آيتان متعارضتان تعريان عن هذين الوصفين...»(٥).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٥/ ٢٩٠) .

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢/ ٣٢٢.

(٣) البيت الشعري يتركب من تفعيلات، وهذه التفعيلات لا تبقى على حال أو صورة واحدة في البحور التي تتألف منها، وإنما يعتريها التغيير بالحذف أو الزيادة أو تسكين المتحرك منها. وهذا التغيير الذي يطرأ عليها بالحذف أو الزيادة، أو تسكين المتحرك له اصطلاح خاص في العروض يعرف به، وهذا الاصطلاح يسمى: الزحاف. ينظر: علم العروض والقافية: لعبد العزيز عتيق ، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت.

(٤): ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٢/ ٤٦-٤٧.

(٥) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٢/ ٤٨ وللاستزادة في ذلك ينظر: دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، لعبد المحسن بن زبن بن متعب المطيري، ص: ٩٠ وما بعدها.

كما أنه لا اختلاف بين نصوص السنة النبوية الصحيحة؛ لأنها من الذكر المحفوظ بحفظ الله تعالى كما ذكرت سابقًا[١]، ولا تعارض بينها وبين القرآن الكريم بأي شكل من الأشكال، بل يتعاضد ويتوافق القرآن معها، ويكمل أحدُهما الآخر، لأن كليهما وحي من عند الله تعالى، والصواب أن نقول عند تعارض نصين ظاهرين بين الكتاب والسنة: لا نقدم أحدهما على الآخر، فيهمل نص ويؤخذ بآخر، لأن التعارض في الظاهر فقط[٢]، أو قصر في فهم النصوص والجهل في إحاطتها، «فإذا أداه بادئ الرأي إلى ظاهر اختلاف فواجب عليه أن يعتقد انتفاء الاختلاف؛ لأن الله قد شهد له أن لا اختلاف فيه، فليقف وقوف المضطر السائل عن وجه الجمع، أو المسلِّم من غير اعتراض، فإن كان الموضع مما يتعلق به حكم عملي فليلتمس المخرج حتى يقف على الحق اليقين، أو ليبقَ باحثًا إلى الموت ولا عليه من ذلك، فإذا اتضح له المغزى وتبينت له الواضحة، فلابد له من أن يجعلها حاكمة في كل ما يعرض له من النظر فيها، ويضعها نصب عينيه في كل مطلب ديني»[٣].

المبحث السابع: شمولية شرائع الإسلام:

تعد شمولية شرائع الإسلام لجميع القواعد والقوانين والنظم التي تنظم حياة الفرد والأسرة والمجتمع والأمة دليلًا عقليًّا على صحته، فهو:

شامل لكل ما يتعلق بالخالق والمخلوق، من أسماء الله وصفاته وحقوقه، وما يتعلق بالمخلوق من شرائع وتكاليف وأخلاق وتعامل، وبخبر الأولين والآخرين، والملائكة والأنبياء والمرسلين، والسماء والأرض والأفلاك، والنجوم والبحار والأشجار والكون، وسبب الخلق وغايته ونهايته، وذكر الجنة ومآل المؤمنين، وذكر النار ونهاية الكافرين[٤]، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨]، «فقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾، أي في اللوح المحفوظ، فإنه أثبت فيه ما يقع من الحوادث، وقيل: أي في القرآن، أي ما تركنا شيئًا من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن، إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول ﷺ، أو من الإجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب»[٥]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل: ٨٩]، «قال ابن مسعود: قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء، وقال مجاهد: كل حلال وكل حرام، وقول ابن مسعود أعم وأشمل، فإن القرآن

(١) ينظر: المبحث الرابع من هذا البحث.
(٢) يمكن الرجوع إليها في حل الإشكالات في التعارض الظاهري مثل (مشكل الآثار) للطحاوي، و (اختلاف الحديث) للشافعي وغيرهما.
(٣) الاعتصام، للشاطبي، ٢/ ٣١٠.
(٤) ينظر: الإسلام أصوله وميادئه، ٢/ ١٥٠.
(٥) تفسير القرطبي، ٦/ ٤٢٠.

اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم، وهدى أي للقلوب ورحمة وبشرى للمسلمين»[1].

وهو أيضًا شامل للثقلين «إنسهم وجنهم، وعربهم وعجمهم، وفرسهم وهندهم، وبربرهم ورومهم، وسائر أصناف العجم أسودهم وأبيضهم»[2]، فأما الإنس فظاهر في قول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وبقوله سبحانه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وأما الجن: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقد «أخبر الله في القرآن أن الجن استمعوا إلى القرآن، وأنهم آمنوا به كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ﴾ [الأحقاف: ٢٩] ... إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٢﴾ [الأحقاف: ٣٢]، ثم أمره أن يخبر الناس بذلك فقال تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١﴾ [الجن: ١]، فأمره أن يقول ذلك ليعلم الإنس بأحوال الجن، وأنه مبعوث إلى الإنس والجن؛ لما في ذلك من هدي الإنس والجن إلى ما يجب عليهم من الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر، وما يجب عليهم من طاعة رسله، ومن تحريم الشرك بالجن وغيرهم أنه دين شاملٌ للزمان كله؛ من بعثة نبينا محمد إلى قيام الساعة»[3].

وهو شاملٌ لكل ما فيه سعادة للفرد والمجتمع معًا في الدنيا والآخرة، حيث اهتم بالإنسان في جميع مراحل حياته المختلفة، ينظم علاقاته المختلفة، ويحرس حقوقه من قَبْلِ ميلاده إلى وفاته، فأمر بحسنُ اختيار الزوجة؛ لتكون بعد ذلك أمًّا ذات نسب معروف بطهره، ولتكون قادرةً على حمل أعباء التربية بعد الحمل والإرضاع، واهتم بتهيئة الجوّ المناسب لها وقت حملها به، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [الطلاق: ٦]، ودعا بعد مولده إلى حُسْن اختيار اسمه، وأوجب له الرّعاية والنّفقة، وتتابعُ حقوقه بعد ذلك لتعظم أكثر فأكثر، والأدلة على ذلك في القرآن والسنة كثيرة.

كما أهتم بعلاقة الإنسان مع أسرته ومجتمعه، والكون كله بما فيه من حيوان وجماد، فعلى سبيل المثال تجمع الآيات القرآنية العلاقة مع الله جنبًا إلى جنب مع الأخلاق والمعاملة مع الناس من غير تفريق، كما في قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ٥١٠.

(٢) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ١/ ١٧٨.

(٣) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة، ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية، ١٩/ ٣٣.

وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧].

ويؤكد الإسلام على شموليته بالتنبيه على بعض العبادات المتعلقة بحقوق العباد، فعن أبي ذر، قال: قال لي النبي ﷺ: ((لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق))[(١)].

وعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما–أن رسول الله ﷺ قال: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة))[(٢)].

وهذا الدين يحث أيضًا على بذل الخير والمسابقة فيه، حتى للحيوان الأعجم، فقد قال ﷺ: ((ما من مسلم يغرِس غرسًا إلا كان ما أُكِل منه له صدقة، وما سُرق منه له صدقة، وما أَكل السبُع منه فهو له صدقة، وما أكلتْ الطيرُ فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحدٌ [أي يسأله] إلا كان له صدقة))[(٣)].

ويعمق النبي شعور المسلم بأهمية جميع أنواع العبادة حتى وإن كانت مرتبطة بحق الحيوان، ومن ذلك حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: ((بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه الحرّ، فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، قالوا: يا رسول الله: إنّ لنا في البهائم أجرا ً؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر))[(٤)][(٥)].

وهو شامل في توجيه نظر الإنسان إلى الدنيا والآخرة معًا بتوازن عجيب، يقول الله ﷻ: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل لك بها الثواب في

(١) أخرجه مسلم في كتاب (البر والصلة والآداب)، باب (استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء)، رقم الحديث (٢٦٢٦) ٤/ ٢٠٢٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب (المظالم والغصب)، باب (لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه)، رقم الحديث (٢٤٤٢) ٢/ ١٢٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب (المساقاة)، باب (فضل الغرس والزرع)، رقم الحديث (١٥٥٢) ٣/ ١١٨٨.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب (في اللقطة)، باب (الآبار على الطرق إذا لم يتأذَّ بها)، رقم الحديث (٢٤٦٦) ٣/ ١٣٢، وأخرجه مسلم في كتاب (السلام)، باب (فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها)، رقم الحديث (٢٢٤٤) ٤/ ١٧٦١.

(٥) ينظر: تعرف على الإسلام، ص: ٣١-٣٣.

الدنيا والآخرة، ولا تنسَ نصيبك من الدنيا، أي مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب، والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، ولزورك عليك حقًّا، فآتِ كل ذي حق حقه وأحسن كما أحسن الله إليك، أي أحسن إلى خلقه، كما أحسن هو إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض، أي لا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به في الأرض، وتسيء إلى خلق الله إن الله لا يحب المفسدين»[(١)]، ومن الآيات التي توجه للجمع بين الدنيا والآخرة قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ [الجمعة: ٩-١٠].

وأما من السنة فعن أَنَس بْن مَالِكٍ –رضي الله عنهما– قال: ((جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))[(٢)].

المبحث الثامن: وقوع ما أخبر به النبي محمد ﷺ من الغيبيات[(٣)]:

من الأدلة العقلية على صحة الدين الإسلامي وقوع ما أخبر به النبي محمد ﷺ من الغيبيات فالنبي ﷺ كسائر البشر لا يعلم الغيب قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ودلالة الإخبار بالغيب المستقبل إنما تظهر وتقوم بها الحجة عند وقوعها وفقَ ما أخبر به عنها، فإذا وقع المخبر به كما كان أخبر عنه فيما مضى عُرف صدق من أخبر به، وهذا لا يمكن أن يخبر به إلا نبيٌّ أو من أخذ عن نبي، ونبينا محمد ﷺ معلوم أنه لم يأخذ عن أحد من الأنبياء شيئًا، فدل وقوع ما أخبر به أنه سيقع وفق ما أخبر على صدق نبوته[(٤)].

---

(١) تفسير ابن كثير، ٦/ ٢٢٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب (النكاح)، باب (باب الترغيب في النكاح)، رقم الحديث (٥٠٦٣) ٧/ ٢.

(٣) ينظر: دلائل النبوة، لمنقذ السقار، ص: ٤-٥٩.

(٤) ينظر: النبوات، لابن تيمية، ص١٥٤-١٥٥.

ومن الغيوب التي تنبأ بها ﷺ ووقعت حال حياته تنبؤه γ بهبوب الريح وهو منطلق وأصحابُه إلى تبوك فقال: ((ستهبُّ عليكم الليلة ريحٌ شديدة، فلا يقُمْ فيها أحدٌ منكم، فمن كان له بعيرٌ فليشُدَّ عِقاله)).

قال أبو حميد –رضي الله عنه– راوي الحديث: فهبَّت ريحٌ شديدة، فقام رجلٌ، فحملته الريح، فألقته بجبلي طيئ[1]، فمن الذي أخبر النبي ﷺ بهبوب هذه الريح في زمنٍ ما كان الناس يقدرون على التنبؤ بالطقس وحركات الرياح؟ إنه الله الذي لا تغيب عنه غائبة.

قال النووي: «هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة؛ من إخبارِه ﷺ بالمغيَّب، وخوفِ الضرر من القيام وقت الريح ...، وفيه ما كان عليه ﷺ من الشفقة على أمته، والرحمةِ لهم، والاعتناءِ بمصالحهم، وتحذيرِهم مما يضرُّهم في دين أو دنيا، وإنما أمر بشد عقل الجمال لئلا ينفلت منها شيء فيحتاج صاحبه إلى القيام في طلبه فيلحقه ضرر الريح»[2].

ومن الأمور الغيبية التي وقعت في حياة النبي ﷺ فتح مكة الذي حصل بعد صلح الحديبية، فقد رأى النبي ﷺ أنه يأتي المسجد الحرام ويطوف به، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧].

فأخبر أصحابه، فسُروا بذلك، وتجهزوا مع النبي ﷺ آمّين البيت الحرام، ولكن صدتهم قريش عن البيت، وانتهى الأمر بعقد صلح الحديبية الذي ألزم الرسول وأصحابه ألَّا يدخلوا مكة في عامهم ذاك، وأن يعتمروا من عامهم القادم.

ولكن الشروط التي تضمنها الصلح لم يرضَ بها الصحابة واعتبروها من الدنيّة ((...فجاء عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: بلى، فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: فعلامَ نعطي الدنية في ديننا، أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعَني الله أبدًا، فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبدًا، فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله ﷺ على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله، أوفتح هو؟ قال: نعم))[3].

(١) أخرجه مسلم في كتاب (الفضائل)، باب (في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم)، رقم الحديث (١٣٩٢) ٤/ ١٧٨٥.
(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي، (١٥/ ٤٢) .
(٣) أخرجه البخاري كتاب (الجزية)، باب (المصالحة على ثلاثة أيام، أو وقت معلوم)، رقم الحديث (٣١٨٢) ٤/ ١٠٣.

فكانت الآية عزاء للنبي وصحابته في عودهم إلى المدينة من غير أن يطوفوا بالبيت الحرام، فقال ﷺ: ((لقد أُنزلت عليَّ آية هي أحبُّ إليّ من الدنيا جميعًا))(١).

قال ابن حجر في بيان معنى الفتح العظيم الذي حققه المسلمون في صلح الحديبية: «المراد بالفتح هنا الحديبية؛ لأنها كانت مبدأ الفتح المبين على المسلمين؛ لما ترتب على الصلح الذي وقع منه الأمن ورفع الحرب، وتمكن من يخشى الدخول في الإسلام والوصول إلى المدينة من ذلك، كما وقع لخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما، ثم تبعت الأسباب بعضها بعضًا إلى أن كمل الفتح ...»(٢).

فهذه من الإخبار عن الغيوب التي لا يعلمها إلا رب العالمين، أعلمها رسولَه، لتكون دلالة على صدقه(٣).

ومن إخباره ﷺ بالغيوب تنبؤُه بهزيمة الفرس وغلب الروم، قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: ٢-٥].

ومنها أنه γ أنبأ أصحابه بوقوع ستة أحداث مهمة، رتب وقوعها فقال لعوف بن مالك: ((اعدد ستًّا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتحُ بيت المقدس، ثم مُوتانٌ يأخذُ فيكم كقُعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنةٌ لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدِرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غايةٍ اثنا عشر ألفًا))(٤).

وفي هذا الحديث يذكر النبي ﷺ أحداثًا ستة يرتبها، أولها: موتُه ﷺ، ثم فتحُ بيت المقدس، وقد كان ذلك في العام الخامسَ عشرَ من الهجرة، ثم موت عظيم يصيب الصحابة، وتحقق ذلك في طاعون عِمواس في السنة الثامنةَ عشرةَ للهجرة، ثم استفاضةُ المال حين كثرت الأموال زمن الفتوح في عهد عثمان، ثم الفتنةُ التي تصيب العرب، وقد وقعت زمن فتنة قتل عثمانﷺ التي كانت بوابة للفتن التي ما تركت بيتًا إلا ودخلته.

وأما العلامة الأخيرة، وهي الهدنة ثم الحرب مع بني الأصفر–وهم الروم–فقد اتفق العلماء على أنها لم تقع، وأن ذلك يكون في فتن وملاحم آخر الزمان، قال ابن حجر: «وفيه أشياء من علامات النبوة قد ظهر أكثرُها»(٥).

(١) أخرجه مسلم كتاب (الجهاد والسير)، باب (صلح الحديبية في الحديبية)، رقم الحديث (١٧٨٦) ٣/ ١٤١٣.
(٢) فتح الباري، لابن حجر، ٧/ ٤٤١.
(٣) ينظر: تفسير القرطبي ١/ ٧٥.
(٤) أخرجه البخاري، كتاب (الجزية)، باب (ما يحذر من الغدر)، رقم الحديث (٣١٧٦) ٤/ ١٠١.
(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٦/ ٢٧٨.

ويخبر النبي ﷺ عن بركان يثور في الحجاز ينعكس ضوؤه بالشفق، فيلحظه أهل بصرى بالشام، فتحقق تنبؤه ﷺ عام ٦٥٤هـ، ليكون دليلًا آخرَ على نبوته ورسالته ﷺ، فقد قال ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء أعناقَ الإبل ببصرى))[١].

قال ابن كثير: «وقد ذكر أهل التاريخ وغيرهم من الناس، وتواتر وقوع هذا في سنة أربع وخمسين وستمائة، قال الشيخ الإمام الحافظ شيخ الحديث وإمام المؤرخين في زمانه شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الملقب بأبي شامة في تاريخه: إنها ظهرت يوم الجمعة في خامس جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ...، وذكر كتبًا متواترة عن أهل المدينة في كيفية ظهورها شرق المدينة ...»[٢].

وغير ذلك كثيرٌ من الأمور الغيبية التي أخبر عنها ﷺ.

المبحث التاسع: دعوة الإسلام إلى مكارم الأخلاق:

مما يستدل العقل به على صحة الدين الإسلامي دعوته إلى كل ما يقوي أواصر المحبة والمودة بين أفراد المجتمع، ويحفظ حقوق الناس ويأمن بعضهم بعضًا، فتتلاشى مظاهر الرذيلة، وتنتشر معاني الفضيلة، ويقوى المجتمع.

فدعا صلى الله عليه وسلم إلى التحلي بمكارم الأخلاق، والتأدب بمحاسن الآداب التي تحقق ذلك، وفي هذا يتفق مع الأديان السماوية السابقة، إلا أن الشريعة التي جاء النبي ﷺ تتميز بأنها جاءت لإتمام مكارم الأخلاق، حتى إنهﷺ قصر القصد من بعثته على ذلك، في قولهﷺ: ((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق))[٣].

فعلى سبيل المثال مسألة القصاص: في شريعة اليهود حتميٌّ ولابد منه، ولا خيار للمجني عليهم فيه، وأن الأمر في شريعة النصارى العكس، وهو وجوب العفو، أما في الإسلام ففيه القصاصُ وفيه العفو، لأن في أخذ الجاني بجنايته حزمًا وكفًّا للشر، وفي العفو عنه إحسانًا وجميلًا، وبذلَ معروف فيمن عفوت عنه، فجاءت شريعتنا والحمد لله مكملة، خيرت من له الحق بين العفو والأخذ، لأجل أن يعفو في مقام العفو، وأن يأخذ في مقام الأخذ[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب (الفتن)، باب (خروج النار)، رقم الحديث (٧١١٨) .
٩/ ٥٨، ومسلم في كتاب (الفضائل)، باب (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز)، رقم الحديث (٢٩٠٢) ٤/ ٢٢٢٧.

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير، (٩/ ٢٩٧) .

(٣) رواه البخاري في (الأدب المفرد)، رقم (٢٧٣) ص: ١٤٣، وابن سعد في (الطبقات) .
(١/ ١٩٢)، وأحمد (٢/ ٣١٨) في (مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، رقم الحديث (٨٩٥٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩/ ٢٥٢ رقم الحديث (٢٣٢٥) من طريق ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعا. قال الألباني: «وهذا إسناد حسن» ، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وابن عجلان، إنما أخرج له مسلم مقرونا بغيره» ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، ١١٢.

(٤) مكارم الأخلاق، لابن عثيمين، ص ١١.

لقد حَثَّ الإسلام على التَّخلُّقِ بالأخلاق الحسنة، ورفَعَ شأنَها، وجعل حُسنَ الخلقِ يَرقَى بصاحبه إلى أعلى المراتبِ في الدُّنيا والآخرة، قال ﷺ: ((أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنةِ لمَن ترَكَ المِراءَ وإن كان مُحقًّا، وببيتٍ في وسطِ الجنةِ لمَن تركَ الكذبَ وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنةِ لمَن حَسُنَ خلقه))[1].

وقال ﷺ: ((إنَّ أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خلقًا، وإنَّ حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم والصلاة))[2].

كما دعا إلى كل خُلُق كريم؛ كالصدق قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]، والأمر بالعدل في جميع الأحوال وبالنسبة لجميع الناس حتى الكفَّار: قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨]. والوفاء بالعهد قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤].

وفي ذات الوقت نَهى ﷺ عن كل الأخلاق الذميمة، مثل الظلم، قال: ٧، قال الله تعالى: ((يا عبادي: إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا، فلا تَظَالَمُوا))[3]، والقول بغير علم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وعن مشية التبختر والتمايُل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: ٣٧].

ونهى السخرية، والهمز واللمز، والظن، والتجسس، والغيبة، وكل ما من شأنه التفريق بين الناس قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحُجُرات: ١١-١٢]، والأمثلة في ذلك تطول.

وقد كان نبينا محمد ﷺ مثالًا لتطبيق الأخلاق التي جاء بها الإسلام، وأثنى عليه الله تعالى في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٤/ ٢٥٣، وقال الألباني: «حديث حسن» سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٥٥٤.

(٢) أخرجه البزار في (مسنده) ١٤/ ٢١، رقم (٧٤٤٥)، قال الألباني: حديث صحيح، ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤٤/ ١٢١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم الظلم)، رقم الحديث (٢٥٧٧) ٤/ ١٩٩٤.

المبحث العاشر: الأدلة العقلية في حديث هرقل مع معاوية بن أبي سفيان:

شهد هرقل ملك الروم بصحة الرسالة المحمدية، بعد حوار دار بينه وبين أبي سفيان بن حرب، وفيما يلي نصه: «قال ابن عباس، فأخبرني أبو سفيان بن حرب أنه كان بالشأم في رجال من قريش قدموا تجارًا في المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش، قال أبو سفيان، فوجدنا رسول قيصر ببعض الشأم، فانطلق بي وبأصحابي، حتى قدمنا إيلياء، فأدخلنا عليه، فإذا هو جالس في مجلس ملكه، وعليه التاج، وإذا حوله عظماء الروم، فقال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسبًا إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيّ، قال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم إليه نسبًا، قال: ما قرابة ما بينك وبينه؟ فقلت: هو ابن عمي، وليس في الركب يومئذ أحد من بني عبد مناف غيري، فقال قيصر: أدنوه، وأمر بأصحابي، فجعلوا خلف ظهري عند كتفي، ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه: إني سائل هذا الرجل عن الذي يزعم أنه نبي، فإن كذب فكذّبوه، قال أبو سفيان: والله لولا الحياء يومئذ، من أن يأثر أصحابي عني الكذب، لكذبته حين سألني عنه، ولكني استحييت أن يأثروا الكذب عني فصدقته، ثم قال لترجمانه: قل له: كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول أحد منكم قبله؟ قلت: لا، فقال: كنتم تتهمونه على الكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: فيزيدون أو ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن الآن منه في مدة، نحن نخاف أن يغدر،-قال أبو سفيان: ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئًا انتقصه به، لا أخاف أن تؤثر عني غيرها-، قال: فهل قاتلتموه أو قاتلكم؟ قلت: نعم، قال: فكيف كانت حربه وحربكم؟ قلت: كانت دولًا وسجالًا، يدال علينا المرة، وندال عليه الأخرى، قال: فماذا يأمركم به؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة».

إن المتأمل لهذه الأسئلة يجد أنها دقيقة وعميقة جدًّا، فقد سأل عن نسَب الرسول، وهل كان يكذب، وهل في آبائه من ملك، وهل أتباعه من أشراف الناس أو ضعفائهم، وهل يغدر، وهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، وهل قاتلوه وقاتلهم، وكيف كانت حربه وحربهم، وبماذا يأمرهم؟.

وكانت إجابة أبي سفيان على هذه الأسئلة صادقة حياءً من قومه من أن يأثروا عليه كذبًا، كما توضح أنه مع كونه لا يزال على الكفر على علم بطبيعة رسالة محمد ﷺ، وما يدعو إليه، ثم عقب هرقل بعد ذلك على إجابته «فقال لترجمانه: حين قلت ذلك له: قل

له: إني سألتك عن نسبه فيكم، فزعمت أنه ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول قبله، فزعمت أن لا، فقلت: لو كان أحد منكم قال هذا القول قبله، قلت رجل يأتم بقول قد قيل قبله، وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك: هل كان من آبائه من ملك، فزعمت أن لا، فقلت لو كان من آبائه ملك، قلت يطلب ملك آبائه، وسألتك: أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم، فزعمت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون، فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فزعمت أن لا، فكذلك الإيمان حين تخلط بشاشته القلوب، لا يسخطه أحد، وسألتك هل يغدر، فزعمت أن لا، وكذلك الرسل لا يغدرون، وسألتك: هل قاتلتموه وقاتلكم، فزعمت أن قد فعل، وأن حربكم وحربه تكون دولًا، ويدال عليكم المرة وتدالون عليه الأخرى، وكذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة، وسألتك: بماذا يأمركم، فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، قال: وهذه صفة النبي، قد كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أظن أنه منكم، وإن يك ما قلت حقًّا، فيوشك أن يملك موضع قدميَّ هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه، لتجشمت لُقيَّه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه...»(١).

يعلل هرقل هنا تصديقه بنبوة محمد ﷺ ببعض الأدلة الدينية والعقلية، فأما الأدلة الدينية فقد عرفها من خلال اطلاعه على الكتب السابقة وهي، : نسبه، واتباعه، ضعفاء القوم أو أشرافهم، يزيدون أو ينقصون، هل كان بينه وبين المشركين قتال، وكيف كان، وهل يغدر، وبماذا يأمرهم ﷺ.

أما الأدلة العقلية وهي موضع البحث هنا فهي كالتالي:

١–هل يتهمونه بالكذب: فإنَّ الرسول لم يكُن كذَّابًا، كما أجاب أبو سفيان، فاستدل هرقل بعقله على صدقه فيما أخبر به ودعا إليه، بأن الصادق الذي لا يكذب على الناس لن يدع الكذب عليهم ويكذب على الله تعالى، يقول ابن كثير: «والرسول محمد ﷺ كان أصدق الناس وأبرهم، وأكملهم علمًا وعملًا وإيمانًا وإيقانًا، معروفًا بالصدق في قومه، لا يشك في ذلك أحد منهم، بحيث لا يدعى بينهم إلا بالأمين محمد ﷺ...»(٢)، يشهد لذلك ما رواه ابن عباس K قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، رقم الحديث (٢٩٤١) ٤/ ٤٥.
(٢) تفسير ابن كثير، ٤/ ٥١٩.

[الشعراء: ٢١٤]، صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي»-لبطون قريش-حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ » قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا...)[(١)].

«ولهذا لما كانت خديجة ι تعلم من النبي ﷺ أنه الصادق البارّ، قال لها لما جاءه الوحي: «إني قد خشيت على نفسي، فقالت: كلَّا والله لا يخزيك الله، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق»[(٢)]، فهو لم يخف من تعمد الكذب، فهو يعلم من نفسه γ أنه لم يكذب، وإنما خاف أن يكون قد عرض له عارض سوء، وهو المقام الثاني، فذكرت خديجة ما ينفي هذا، وهو ما كان مجبولًا عليه من مكارم الأخلاق»[(٣)]، كما شهد له القرآن بذلك قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، وقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

٢-هل سبقه أحد منهم إلى هذا القول: فكانت إجابة أبي سفيان لم يحْدث أنْ قام أحدُ أبناء مكة أو قريش بادِّعاء النبوَّة، فاستدل هرقل بعقله أنه صادق في دعوته؛ لأنه لو كان أحد منهم قال هذا القول قبله، لكان قول محمد ﷺ تقليدًا له.

٣-هل ملك أحد من آبائه: كانت إجابة أبي سفيان بأنه ليس لآباءِ محمد ﷺ مُلك أو سلطان، فاستدل هرقل بعقله أنه صادق؛ لأنه لو كان لهم مُلك، لظن أنه أراد أن يُطالِب بمُلْك آبائه، فكانت النبوة وسيلة لذلك.

٤-هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فكانت إجابة أبي سفيان بالنفي، فاستدل هرقل بهذا الثبات على الإسلام على صحته؛ لأن الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، لا يسخطه أحد.

(١) أخرجه البخاري، كتاب (تفسير القرآن)، باب ({وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك} [الشعراء: ٢١٥] ألن جانبك)، رقم الحديث (٤٧٧٠) ٦/ ١١١.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب (التعبير)، باب (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة)، رقم الحديث (٦٩٨٢) .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ١/ ١٤٠-١٤٤ وينظر: دلائل النبوة، لمنقذ السقار، ص ١٢٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم به الصالحات، أحمده، وأشكره على توفيقه، ومنِّهِ علي في إتمام هذا البحث، وفيما يلي أهم النتائج التي توصلت لها من خلال هذا البحث، والتوصيات:

أولًا: النتائج:

١- يعد جوهر الدعوة الإسلامية دليلًا عقليًّا على صحة الدين الإسلامي؛ لأنه يدعو إلى تحرير البشرية من رقّ عبودية المخلوق إلى حرية عبادة الخالق، من خلال الدعوة إلى عبادة الخالق عبادة الله وحده وطمس معالم الشرك بكل أشكاله، ليحصل المسلم على الأمن النفسي والهداية وطمأنينة القلب، وقوة التوكل على الله، والرضا بأقدار الله تعالى.

٢- من الأدلة العقلية على صحة الإسلام أن كلّ ما جاء به الإسلام يتوافق مع الفطرة السليمة، كتوافقه مع معرفة الإنسان بالله تعالى وتوحيده، ومع دافع النكاح لديه ودافع التملك، ودافع حب الرفق والتيسير.

٣- من الأدلة العقلية على صحة الإسلام أن أحكامه وعقائده تتوافق مع العقل الصريح، والحقائق العلمية، ولا يمكن أن يكون هناك تناقض بينهما وبين النصوص الشرعية.

٤- يعد ثبات الإسلام واستمراره منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة دليلًا عقليًّا على صحته، وأنه دين الله الخالد الصالح لكل زمان ومكان، لسلامة مصادره من التحريف، وجمعه بين الثبات والمرونة في أحكامه.

٥- من الأدلة العقلية التي تدل على صحة الإسلام، سلامة مصادره من الاختلاف والتناقض؛ مما يدل على أنه وحي من الله تعالى الذي تكفل بحفظه من التحريف، وأن ما يظهر للناظر من تعارض بين بعض نصوص الكتاب أو السنة، فهو تعارض ظاهري ومتوهم، أو قصر في فهم النصوص والجهل في إحاطتها.

٦- مما يستدل به العقل على صحة الإسلام شمولية شرائعه لجميع القواعد والقوانين والنظم التي تنظم حياة الفرد والأسرة والمجتمع والأمة، فهو شامل لكل ما يتعلق بالخالق والمخلوق، ولكل ما فيه سعادة للفرد والمجتمع معًا في الدنيا والآخرة، فاهتم بالإنسان في جميع مراحل حياته المختلفة، ونظم علاقاته المختلفة، وحرس حقوقه من قبل ميلاده إلى وفاته، وشمل علاقة الإنسان مع أسرته ومجتمعه، كما وجه نظر الإنسان إلى الدنيا والآخرة بتوازن عجيب، لا إفراط فيه ولا تفريط.

٧- يعدّ وقوع ما أخبر به النبي ﷺ من الغيبيات وفق ما أخبر به عنها بإذن الله تعالى دليلًا عقليًّا على صحة الإسلام، كإخباره بانتصار المسلمين في معركة بدر، وفتح مكة، وهزيمة الفرس وغلب الروم وغير ذلك.

٨- مما يستدل العقل به على صحة الدين الإسلامي دعوته إلى مكارم الأخلاق التي تقوي أواصر المحبة والمودة بين أفراد المجتمع، وتحفظ حقوق الناس ويأمن بعضهم بعضًا.

٩- ومن الأدلة العقلية على صحة الإسلام شهادة ملِك الروم هرقل بصحة الرسالة المحمدية بعد حواره مع أبي سفيان بن حرب وهي: صدقه، وأنه لم يسبقه أحد منهم إلى ذلك، وكذلك ليس لآبائه ﷺ مُلكٌ أو سلطان يريد أن يُطالِب به، وثبات من يدخل هذا الدين للأثر العظيم الذي يحققه الإيمان على القلوب.

ثانيا: التوصيات:

أوصت الباحثة بالتوسع في البحث في الأدلة العقلية على صحة الإسلام وبالبحث في الآتي:

١-الأدلة العقلية في القرآن الكريم والسنة النبوية على صحة أصول الدين الإسلامي.

٢-الأدلة العقلية على صدق نبوة محمد ﷺ.

٣-الواقعية بين الإسلام والأديان السابقة.

ثبت المصادر والمراجع

١- **أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة:** لعبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢هـ-٢٠٠٣م.

٢- **الإحكام في أصول الأحكام:** لأبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، لبنان.

٣- **الأدب المفرد:** لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبي عبد الله، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٩-١٩٨٩.

٤- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل:** لمحمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٥- **الإسلام أصوله ومبادئه:** لمحمد بن عبد الله بن صالح السحيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ.

٦- **الاعتصام:** لأبي إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٧- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان:** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٨- **الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم:** لعبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٩- **البداية والنهاية:** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٠- **البرهان في علوم القرآن:** لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

١١- **تاج العروس من جواهر القاموس:** لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٢- **تاريخ دمشق:** لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ-١٩٩٥ م.

١٣- **تعرف على الإسلام:** منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

١٤- **تفسير القرآن العظيم:** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ.

١٥- **تقريب التدمرية:** لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام، ط١، ١٤١٩هـ.

١٦- **جامع البيان في تأويل القرآن:** لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠.

١٧- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، صحيح البخاري:** لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٨- **الجامع لأحكام القرآن:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١٩- **دحض دعوى المستشرقين أن القرآن من عند النبي صلى الله عليه وسلم:** لسعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: غراس للنشر والتوزيع.

٢٠- **درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول:** لتقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢١- **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية:** لسعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٢- **دراسات في علوم القرآن الكريم:** للأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢٣- **دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها:** لعبد المحسن بن زبن بن متعب المطيري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢٤- **دلائل النبوة:** لمنقذ بن محمود السقار.

٢٥- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها:** لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى، مكتبة المعارف عام النشر: ج١-٤: ١٤١٥هـ-١٩٩٥ م، ج٦: ١٤١٦هـ-١٩٩٦ م، ج٧: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٢٦- **سنن ابن ماجه:** لابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢٧- **سنن أبي داود:** لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٢٨- **سنن الترمذي:** لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٢٩- **السنن الصغرى:** لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦، ١٩٨٦م.

٣٠- **شرح العقيدة الطحاوية:** لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٣١- **الطبقات الكبرى:** لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، ط الأولى، ١٩٦٨م.

٣٢- **علم العروض والقافية:** لعبد العزيز عتيق، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت.

٣٣- **الفتاوى الكبرى:** لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٣٤- **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٣٥- **الفصل في الملل والأهواء والنحل:** لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣٦- **الفطرة: حقيقتها ومذاهب الناس فيها:** لعلي بن عبد الله القرني، دار المسلم، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣٧- **القاموس المحيط:** لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣٨- **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم:** لموريس بوكاي، ترجمة: الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي، ط الثالثة، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٣٩- **لسان العرب:** لمحمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الناشر: دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤٠- **مباحث في إعجاز القرآن:** للدكتور مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٤١- **مجموع الفتاوى:** لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٤٢- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٤٣- **المستدرك على الصحيحين:** لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٤٤- **مسند الإمام أحمد بن حنبل:** لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٤٥- **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار:** لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ط١، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٤٦- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ:** لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٧- **المعجم الوسيط:** مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

٤٨- **معجم مقاييس اللغة:** لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٤٩- **مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير**: لمساعد بن سليمان الطيار، دار المحدث، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ.

٥٠- **مكارم الأخلاق**: لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن.

٥١- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢ه.

٥٢- **منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين**: لأحمد بن علي الزاملي عسيري، إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١ه.

٥٣- **منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين**: د مصطفى محمد حلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦ه.

٥٤- **الموافقات**: لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٥٥- **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**: لمحمد راتب النابلسي، دار المكتبي، سورية، دمشق، الحلبوني، جادة ابن سينا، ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م.

٥٦- **النبوات**: لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.